نحتاجه هو شعور ما بالصواب و الخطأ الذي يسبق المعاهدات أو العقود.

إن «بروك» بالنسبة للعقلاني، مجحف بإصلاح البيروقراطية ومجحفًا أيضًا بإصلاحه من خلال مجتمع العمل العقلاني المتساوي، ولكن «بروك» يتفق مع العقلاني في دعوته للطريق الآلي في مواجهة مدمني تغير للتغير. أما «دي مايستر» فهو لا يميز تميزًا واضحًا بين ما للعقل وما للدين، وكما أنه يرى أن أي هجوم على النظام الاجتماعي هو بمثابة تجديفًا على الله.

ما يراه "أوهير" هو أن ما يعد حيويًا في الدستور الناجح هو الأوهام المثيرة للسعادة التي تجعل السلطة مهذبة والطاعة ليبرالية، ولكن بتمزيق ذلك، فإنهم يعرضون «طبيعتنا المحطمة العارية». كما يرى أن موقف «بروك» من الإجحاف والتقاليد، وكذلك من القاعدة الإلهية للمجتمع البشري كان هو النقيض الكامل للتنوير. وبعد قرنين من التطهير السياسي، أخلاقي، الجمالي القائم على «العقلانية»، فإنه يعد قرن من السياسة الملحدة الواضحة في أجزاء عديدة من العالم.

وبعد عرض ما سبق يجد الباحث أن "أوهير" على صواب، فرؤية كل من «بروك» و«دي مايستر» لا تحمل الكثير من الضوء والأمل للإنسانية، بل إنها تشرع هي الأخرى في قمع الإنسان، بدعوى وضعه على الطريق القويم لتحقيق السعادة والتقدم المنشود.

تعقيب:

إن كان «روسو» قد فضل المشاعر على العقل والعلوم، فهو مضاد للتنوير ومتصدًا له في كراهيته للعلوم والثقافة، ولكنه في الحقيقة أثبت أنه تنويري في عقلانيته وشموليته. وإن كان «هيردر» يرى أن ما يتم منحة للمستعمرات ليست حضارة، إلا أن النسبيته التي تبنها لا تعطيه حق الاعتراض على الثقافات البغيضة؛ وفي النهاية، كل من «بروك» و دي مايستر قد أودى بالقرن إلى سياسة ملحدة.

من السابق نلاحظ أنه إن كان التنوير في سعيه وراء العلم ورفض كل ما هو راسخ قد أخفق في تغطية جوانب الجمال والدين والإخلاق، لكن التنوير المضاد على العكس، أكد على كل ما هو راسخ وثابت في مواجهة العلم، وهو بهذا يغفل دور العلم وما حققة من انجازات قيمة للجنس البشري، وهو بذلك يجذب الإنسانية إلى الجانب الآخر، إلى

الجانب المضاد، ولم يجد الفيلسوف – ويتفق معه الباحث في ذلك– أن هذا هو أفضل الحلول.

ويمكننا أن نستخلص، في النهاية، أنه لا يمكننا رفض العلم، ولكننا أيضًا لا يمكننا الاعتماد عليه بالكلية. و إنما يجب علينا في محاولة رفض الإجحاف ألا نكن مجحفين، فليس معنى ألا نقبل العلم كله، هو أن نرفضه كله.

ولكن في طرح "أوهير" لوجهة نظره عن التنوير نجد غياب للتجربة الأمريكية (أو التنوير الأمريكي)، وهذا ما أثار في عقل الباحث بعض التساؤلات للفيلسوف؛ هل استطاعت التجربة الأمريكية تحقيق الحرية الإنسانية؟ هل نجحت في استقرار الوضع الإنساني، أم أدت هي الأخرى إلى الإجحاف والتقييد للعقل؟ ما هي الرؤية النقدية للفيلسوف لفلاسفة هذه المرحلة؟ وما هي الإخفاقات التي واجهتهم؟ وما هو الصواب الذي أدركوه؟ هل استطاعت هذه التجربة تحقيق التقدم، أم لاقت نفس مصير قريناتها؟